

رابعا : عند تأثيلهم الالفاظ الاوربية يعيدونها — كالذى قلنا مرارا — الى بعض اللغات الآرية القديمة على الاغلب ويقفون عند ذلك الحد ، لكن العربية ذات الثروة القارونية أوحث لنا ذات يوم عند تأثيلنا لبعض الفاظها ان نرجعها الى بداياتها الاولى التى حاكى بها الانسان الاول بعض الاصوات ثم تطورت على مر الاجيال حتى تكونت منها الفاظ جديدة فى المعنى والمبنى ، مثل تسمية الفروج (صوصي) فى بعض الدارجات من صوته ، والمواء من قول الهرة (ميو) ، والهواء من صوته (هووو) ، وما الى ذلك . فهذا الاثر البدئى الصوتى الذى سميناه (الرّس) الذى يعنى معجميا : بداية الشيء ، ادى بنا الى وضع ما سميناه (علم الترسييس) اى البحث عن ارساس الالفاظ ، لا للغة العربية وحدها بل كذلك للآريات والحاميات والساميات اللواتى قلنا انهن بناتها ، لان الكثير من الفاظهن ما زال يمكن ارجاعه اثلا الى اللغة الام . وهذا اظهر لنا ان اللغة العربية قادرة بمفردها ان تبرهن على صحة (علم نشأة اللغة) وتكشف عن اسرار تكونها ونضجها وطرانقتها التطورية العجيبة .

خامسا : ومن افضل العربية ومزاياها ان فيها الفاظا كثير عديدها عريقة النسب جد قديمة فى الوجود ، منذ عهود ما قبل التاريخ اى قبل عهود اختراع الكتابة ، تدل على معان واحداث باد اهلوها ولم يبق من الآثار التنقيبية ما يدل عليها ، ومن مقارنة تلك الالفاظ بعضها ببعض ومراقبة سيرها التطورى من زمان الى زمان وانتقالها على الخريطة من مكان الى مكان على الاغلب ، يمكن استخلاص حقائق تاريخية مجهولة لولا سجل اللغة — العفوى — هذا لبقيت الى الابد مجهولة .

منشا العيوب والمزايا

هذه المزايا وتلك العيوب .. ما منشؤها ؟

لندھش القارىء العزيز نقول ان منشأها واحد . فاللغة العربية بحسناتها وسيئاتها ليست الا حصيلة رحلتها الطويلة فى التاريخ وترحلها المنقلب الدائب فى حيز محدود من الجغرافيا — المعربة .

كنت قرأت بحثا للمؤرخ العالمى المشهور (توينبى) عن تحول الجزيرة العربية الى هذه الصحراء الرملية بعد ان كانت فى العهد الجليدى غابة لغاء تزخر بالحياة

الذى يسلمه ليد الجراح يفحصه ويكشف علته او علته ثم يجرى له الجراحة تسيل دمه وتبضع لحمه لتسفيه مما يعانى فيتمتع بالحياة ناشطة منتجة ، ام ذلك الاب الذى يخشى عليه الالم فيحوطه بالحنان التقليدى المتهيب الجزوع ويتركه خاملا يذوى ويذوى الى ان يفارق الحياة . نأتى الى المزايا ..

مزايا العربية

ولئن كانت كل اللغات تشارك عربيتنا فى الكثير من عيوبها فان لها لمزايا تنفرد بها دون لغات اهل الارض منذ ظهرت اللغات ونطق ابن آدم .

من هذه المزايا اولا هذه الكثرة الكثيرة فى المترادفات والصيغ والاشتقاقات — مما ذكرناه فى عداد العيوب بالنسبة الى المتعلمين ، فهى نعمة للادباء المترسبين الحذاق هذه المرة .. مع وفرة طائفة فى التعمير الحضارية والفكرية والشعورية ، الى جانب الالفاظ الصحراوية البدائية . فمع ان المعجم العربى (معجم بدوي) لان رواة اللغة لم يأخذوا عن الحضر ولا عن القبائل المجاورة للحضر او الاعاجم ، بل اقتصرنا على البدو الخالص الاتحاح .. لشد ما يدهشنا ما نراه من غزارة المادة الحضارية والفكرية الراقية فيه .

هذه الثروة الفاحشة ساعدت العرب منذ القدم على قرض الشعر والتصرف وتنويع طرائق التعبير فيه ، ونظم المطولات من القافية الواحدة يبلغ عديد بيوتها المئة والمنتين — ما لا نظير له فى اية لغة اخرى .

ثانيا : تبين لنا فى ابحاث سابقة ان اصل الآريين قد كان من الجزيرة العربية ، ومن ثم فان اللغات الآرية شرقية كانت كالفارسية والسفسكرتية واليشتونية (الامتانية) ، ام غربية كالاغريقية واللاتينية والكتية والغالية ووارثاتها الاوربيات الحديثات — هذه اللغات كلها مع اللغات الحامية والسامية : بنات العربية .

ثالثا : ومن مزاياها الخطيرة غير المنظورة انها اصيلة ، او باصطلاحنا اثيلة ، لانها من صنيع اهلها ، نبتت ونشأت واكتملت فى موطنها ، على السنتهم .. خلافا لمعظم اللغات الاخرى ، حية او ميتة ، قديمة او حديثة .. لانها كلها لم تنبت فى الارض التى يتكلم بها اهلها ولا هم الذين صنعوها او نشؤوها وربّوها ، هذه الخملة الفذة انجبت المزيين التاليين .

والمياه . موجزه : أن سكان المنطقة حين صوّحت بهم الغابة الفيحاء وتناصت خيراتها كانوا ثلاث طوائف ، نطائفة هاجرت الى مناطق خصيبة أخرى فنجت ، وطائفة كيفت نفسها مع البيئة الجديدة فمأثت ، وثالثة لم تهجر ولم تستطع أن تتكيف مع البيئة فبادت . ولم يتحدث (توينبى) عن النتائج اللغوية التي قد تكون نجمت من هجرة النازحين وتكيف الباتين . وليس لنا أن نعاتبه فهو مؤرخ لا لغوى ، وإنما نحن المطالبون بأن نبحت ونتسائل .

في وسعنا أن نقول بسهولة أن تلك الهجرات نقلت لغة القوم ولهجاتهم الى المناطق التي هاجروا اليها . . الى إيران فالانغان فالهند شبرقا ، والى الهلال الخصيب فالاتناضول فأوربا شمالا ، والى الحبشة ومصر فالشمال الإفريقي الى أقصاه غربا . يتأيد هذا لنا إذا تتبعنا الكثير من الالفاظ المتشابهة بين العربية ولغات هذه الاصقاع ولا سيما في الضمائر وأسماء الاشارة والالفاظ الطبيعية البدائية — كما سبق أن قلنا في أبحاث سابقة . والأوروبيون يسمون لغاتهم (اللغات الهندية / الأوربية) لانهم وجدوا شيئا بين الالفاظ لغاتهم والالفاظ السنسكريتية (اللغة الهندية القديمة) ، وإذا كان ذلك ينبىء أن الأوروبيين قد قدموا أصلا من الهند فان استنتاجنا ينبىء أن الكثيرين منهم قدموا من الأرض العربية رأسا أيضا . وأية كانت الحال فان من البديهي أن بوسعنا أن نسمى تلك اللغات على وجه الاجمال باللغات (العربية / الهندية / الأوربية) .

فمن أجل هذا قلنا في مطلع الحديث أن اللغة العربية أم اللغات الآرية بالإضافة الى الحامية (لغات الشمال الإفريقي والصومال) والسامية (لغات الهلال الخصيب ومصر والحبشة) ، وأن العربية ليست قادرة على ترسيخ الالفاظ لنفسها فقط بل لبناتها من هاته اللغات أيضا .

ان حياة الترحل والنُجعة في تلك البيداء العربية قسمت القوم بطونا وقبائل كما قسمتهم مواطن الخصب المستديم الى قرى ومدائن . وتنقل تلك البطون والقبائل على غير نظام — وأحيانا على نظام — من منطقة في موسم الى أخرى في موسم آخر . . فتتقارب طورا وتتباعد طورا ، ويندمج بعضها في بعض آونة وينشط بعضها من بعض أوانا . . وكثيرا ما تضطر الظروف عائلة من القبيلة الى الاتسلاخ من مجموعتها . . او

فردا يلتجىء الى عشيرة أخرى فيتزوج وينجل فيهم . وفي جميع الحالات يأخذ الافراد والجماعات لغتهم معهم حيثما ذهبوا . وإذا بحياة العزلة تطور اللغة على السنة فئدة في اتجاه غير الذى تتطور فيه على السنة فئدة أخرى . فما كانوا يطلقونه على الأرض الصلبة البيضاء هنا يطلقه بعضهم هناك على الأرض البيضاء ولو كانت رخوة ، وما كان يطلق على التل الصغير صار بعض المنشقين يطلقه على الجبل الذى يجدهونه في أرض نجعتهم مثلا . وقد سبق ان استشهدنا على مثل هذه التطورات بالكثير من النماذج ، نذكر منها هنا (الأبرق) الذى اصل معناه بياض يلمع في لون آخر كالبرص ، فصار يعنى معجميا كل شيء اجتمع فيه سواد وبياض ، ثم صار يعنى الأرض الغليظة فيها حجارة ورمل وطين . . ثم نطقه قوم (الأبلق) بنفس معناه الاول أى : الأسود والابيض . وهو ينطق (بلق) بسكون اوله في الدارجة المغربية ويعنون به : الشديد بياض البشرة . وهكذا اختص بلون واحد وفقد الآخر . لكن نفس الصيغة أى (black) تعنى بالانكليزية اللون الآخر فقط أى الأسود . وهى تنطق blanc بالفرنسية و بالاسبانية blanco و بالاطالية لكن بالمعنى المغربى أى الابيض .

واسم الحيوان سار يعنى حيوانا آخر أو أكثر من حيوان مثل السّمة (كالهمة) وهو من أسماء الاسد اطلق على الذكر من الحيات وانثى التنفذ .

ويتغير النطق كذلك اذا كان أحد الابوين التغ أو أرتل فيؤثر في اولاده . والاعلم أن الكبار يقلدون رؤساءهم في النطق ولا سيما شيوخ العشائر .

.. فيكون اختلاف اللفظ في جميع هذه الحالات وغيرها — وهى كثيرة — منشأ الالفاظ جديدة متقاربة في المبنى والمعنى ، وهو ما اثار تعجب قدامى اللغويين واعجابهم مذ عثوه من بدائع العربية وسموه تصائب المعانى بتصائب الالفاظ . من النماذج الكثيرة : سل ، سلت ، أصلت . . هواء ، هباء ، هباب ، هب ، قص ، تصم ، قسم . . .

وقد تتباعد الالفاظ بتصائب فلا يبقى بينها شبه ظاهر ، مثل فعلتي : تطّ وهذّ ، فقد تطورت (قط) هكذا : تطّ — قذّ — قذّ — خذّ — حدّ — هذّ . .

وان كان المعنى قد ظل هنا ضمن نطاق (القطع) فانه قد يتغير مع تغير اللفظ في بعض مناحى التطور

وخارجها — خلق هذه اللغة الفخمة السمينية ،
والعلاقة بين اللغات .

ولو كانت البداوة انقضت قبل جمع اللغة لضاع
علينا الكثير من الالفاظ البدائية التي ما زالت فيها آثار
منشئها الصوتي ينم عليها ، وقد جرى ذلك فعلا للغات
التي غادرت المعربة وابتعدت ولو قليلا عن فلواتها
كالمساميات اللائى فقدن من ذلك الشيء الكثير ،
والحاميات اللائى كنّ أبعد في المكان واتدم في الزمان
فكان ما فقدنه أكبر مما فقدت الساميات ، ثم الآريات
اللائى انقطعت صلتهم بالأرض الام وأهلها — حتى
ما كان منهم قريب المكان كالفارسية — فكان ما فقدنه
أكثر وأكثر .

فهكذا تكونت مزايا اللغة العربية وعيوبها —
بدا بيد .

البدائية والرقسى

يقول فقهاء علم اللغة المحدثون من الفرنجة ان
اللغات البدائية هي التي تكثر فيها الالفاظ القريبة من
بداياتها الصوتية ، على حين أن اللغات الراقية لا يوجد
فيها من ذلك الا القليل الاقل . وكثيرا ما نسمع حتى من
بعض اللغويين العرب من يستنتج من ذلك أن المعربة
لغة بدائية من ثم .

الفكرة من أساسها مغلوطة ، تعميم . وجدوا هذا
في لغات بدائية وهذا في لغات راقية ، فقالوا ذاك علة
ذلك . وجعلوها قاعدة . المظهر شيء والسبب شيء
آخر ، ان كلام رجل ملتج بالانكليزية وكلام رجل حليق
اللحية بالفرنسية لا يعنى أن اختلاف حالة اللحية هو
سبب اختلاف اللغة . فلنبحث عن سبب معقول لوجود
الجذور الصوتية في اللغات وغيابها ، غير الرقى
والبدائية .

اللغات البدائية بقيت بدائية مبقية الفاظها قريبة
من ارساسها الصوتية لان أهلها لم يختلطوا بغيرهم ،
لا لانهم لم يرتقوا . اما الشعوب المتحضرة — الأوربية
مثلا — فقد جاءت من مناطق أخرى ولغاتها خليط من
لغات شتى . . ابتعدت عن منشئها وأهلها ، ومقدت
جذورها الصوتية لا عند ما ارتقى أهلها ولكن منذ
كانوا همجا متوحشين ، في أوربا نفسها ، بل قبل أن
ياتوا الى أوربا أيضا .

مثل : حدّ — حسّ — حشّ — عشّ ، عاش ، ميش :
(حياة أو خبز) . . أو هكذا : حشّ — حشا ، حشية ،
ومنها حشية الثوب ، ثم حاشيته ، ثم حاشية الكتاب .
وما أبعد كل هذا عن الرس (قط) في اللفظ والمعنى .
ومن امثلة اختلاف النطق ما زال القاف يلفظ في
دارجاتنا على أربعة أوجه ما بين بدو وحضر في مثل :
تاعد ، كاعد ، جاعد ، آعد .

فاذا كان هذا شأن الكلمة من ريش واحد فما
بالنا بالكلمات الكثيرة المنحدرة أساسا عن ارساس شتى؟
أظننا فهمنا من كل ما تقدم كيف تعددت الفاظ
المعنى الواحد وكيف تنوعت معانى اللفظة الواحدة مما
اغنى اللغة — ومن ثم كيف تباينت واضطربت طرائق
التعبير واختلفت قواعد النحو والصرف .

فاذا تلاقى بعض اولئك الضاريين في أماكن تلك
الجزيرة العربية الفسيحة الأرجاء ، فاندمجت قبيلة في
قبيلة . . اندمجت اللغتان . . لا كما هي الحال في الحضرة
حيث يقيم كل فريق في حى من البلدة الواحدة فيظنون
متجاورين محافظين على لغتهم ولهجتهم . . فان القبيلة
في البداية كلها حى واحد ، يلعب صغارها معا دون تمييز
بين طبقات ، ويحضر كبارها كلهم في مجلس الشيخ
على سواء ، ويضربون خيامهم معا عند النزول
ويتقوضونها معا عند الرحيل . فما هو الا جيل أو جيلان
حتى تندمج اللغتان فتكثر الالفاظ للمعنى الواحد وتعدّد
المعنى للفظ الواحد .

فلو أن القبائل العربية قد اجتمعت كلها في صعيد
الى غير افتراق لتوحدت لغاتها في لغة واحدة ، ولو
قد افتترقت كلها عن بعضها بعضا الى غير لقاء لتعددت
لغاتها وتباينت حتى لا يعود بعضها يفهم عن بعض
ولاصبحت لهجات كل من القبائل المنفصلة لغات محلية
ضيقه الأبعاد بالنسبة الى اللغة الام ، كالذى وقع
فعلا للبابليين والكمانيين وغيرهم من الساميين — والى
حد ما للحميريين (أهل اليمن) .

لكن تكرر الافتراق والانشطار الذى ينبجج الالفاظ
الجديدة والمعانى الاصنامية أو المختلفة ثم تكرر اللقاء
الذى يجمع كل الحاصل الجديد في بوتقة واحدة ، ثم
انصال البداوة من جهة أخرى لضرورة التبادل المستمر
مع المعربة المتحضرة على جوانب المعربة — في داخلها

لقد قلنا توا ان الساميات فقدت الكثير من ارساسها واثولها لاتسلاخها عن المجموعة العربية ، مع ان مواطنها بقيت قريبة من الوطن الام .

ولا اذل على فساد نظريتهم من ان اللغة العربية تد جمعت بين الخصلتين ، بذوها تنطبق عليهم القاعدة الاولى (عن البدائين) وحضرها لا تنطبق عليهم حالة الاوربيين المتحضرين مثلا لان العرب بدوهم وحضرهم لم يغادروا معريتهم ولم يبتعدوا عن موطن آباؤهم الاوائل الذين خلقوا لغتهم لانفسهم بانفسهم ، ومن جهة اخرى ، كم من لغة ما تزال همجية بدائية في بعض القارات ، قد فقدت جذورها الصوتية لا يتمادها عن موطنها الاول واختلاطها بلغات بدائية اخرى .

ويمكننا ان نضعها قاعدة عامة فنقول : « ان السبب في ضياع الجذور الصوتية من اللغات ليس التحضر والترقى ، بل الهجرات والمخالطات » .

ان الذى ذكرنا آتفا من كثرة التطورات اللغوية التى حققتها كل تبيلة على حدة ثم اجتماعها لتبادل ما جد لدى كل منها من الفاظ ومعان تنضاف الى رصيد اللغة المشتركة - لامر يشبه أسرة يخرج افرادها للكسب ثم يعود كل منهم بحصيلة كده ليضيفه الى ثروة الاسرة . حتى بلغت ثروة اللغة ذلك الحد التضخمى المشهور .

وان شكا بعضهم قليلا من تكاثر مفردات المعنى الواحد فان الامر الذى طالما شكوا منه كثيرا هو تعدد المعانى للفظ الواحد . وغريب ان يصدر مثل هذا التشكى عن مثقفين من العرب الذين يتقنون لغة او اكثر من لغات الاقطار الراقية الرائدة في مجالات العلم والمخترعات . انهم يلاحظوا ان ذلك شأن اللغات الاجنبية ايضا ؟ اذ فتحوها اي معجم بالانكليزية او الفرنسية ، وهما لغتان حديثتان وطفلتان بالقياس الى العربية الناضجة المكتملة القديمة ، تجدوا العجب من فوضى اختلاط المعانى وتبايناتها ، حتى في المصطلحات العلمية والتقنية الحديثة .

لهذا عيب التطور اللغوى لا عيب العرب ولا عربيتهم .

المهجور

كثر الهجوم على الحوشي المهجور في معاجنا العربية والمطالبة باعدائه وتصفيه اللغة من غوائله ،

مع انه لم يسبب لنا ضررا ولا هم فكروا انه ارتكب جنائية . ان كانوا لا يريدون ان يستعملوه فمن الذى اجبرهم على ان يستعملوه ؟ وان كانوا لا يريدون منا ان نستعمله فمتى استعملناه ؟ انى لم انهم ماذا يتصدقون . بديهي ان المعجم الموجز الطلابى يخلو من الالفاظ المهجورة وحتى القليلة الاستعمال . وفي كل لغة معاجم جيب صغيرة بحجم الكف او اصغر احيانا تقتصر على الالفاظ الاساسية التى يحتاج اليها المتعلم ووطنيا او اجنيا ، ثم يكبر حجم المعاجم في طبقات مختلفة ، ويكبر حتى يبلغ العدد العديد من المجلدات الضخمة . ولكل من الناس حجمه الذى يناسبه من المعاجم والملابس .

نما بالنا لا نرضى ان تكون كذلك الحال في عربيتنا ؟

ثم كيف نفهم تراثنا الجاهلى ، بل حتى الاموى ، بل حتى العباسى ، اذا نحن صفيينا معاجمنا من الالفاظ التى اصبحت اليوم مهجورة وكانت دارجة في لغة الحديث اليومى عند اسلافنا ؟ ان كل لفظة لغوية كائن حى مهما يكن اليوم مغمورا مهلا . فمن الذى يطالبنا بان نندها فعل الجاهلية ؟ كل كلمة لها حكايتها . نطق بها ناس من الاجداد وسجلوا بها شيئا من مشاعرهم او نبذة من حياتهم .

انظر الى كلمة (اعتقد يعتقد اعتادا) . لفظة مهجورة ، نعم . غريبة لا جانبية فيها ولا رشاقة ولا موسيقا ، نعم . لكن لها تاريخها . فاسمع مأساتها :

« العَفَد (بالفتح) - طائر يشبه الحمام ، او هو الحمام . والاعتقاد ان يعلق الرجل بابه على نفسه فلا يسأل احدا حتى يموت جوعا . . قال محمد بن انس : كانوا اذا اشتد بهم الجوع وخافوا ان يموتوا اغلقوا عليهم بابا وجعلوا حظيرة من شجرة يدخلون فيها ليموتوا جوعا . قال : ولقى رجل جارية تبكى ، فقال لها : ما لك ؟ قالت : نريد ان نعتقد . . » - اللسان .

انهذه كلمة يحل لاحد وادها لمجرد كونها حوشية مهجورة وهى تحمل مثل هذا التاريخ الفاجع ؟ كيف نعرف مآسى تلك الصحراء ودواهيها وحروبها وغرامياتها . . بدون معونة هذه الكلمة وامثالها ؟

اما اطلاق (العفد) على الحمام نسيبه ان من سجية هذا الطائر ان كلا من الذكر والانثى يعتقد اذا نكل صاحبه - فيضرب عن الطعام والشراب حتى يموت .

فبالاضافة الى ما للكلمة من قيمة تاريخية

« الماء الذى يكون تحت الصخر لا تصيبه الشمس » استعمالناه مقابل (ground water) بالانكليزية و (nappe fr atique) بالفرنسية ، وتعريفه الاصطلاحى فى المعجم المذكور : « ماء تجمع تحت سطح التربة فوق اول طبقة كثيفة » .

وكذلك (الخَسَل) - زنة الفسل - الذى معناه اللغوى من « خسلت شيئا : رفلته ونفيتها » استعمالناه مقابل اصطلاح (littering) بالانكليزية و (abandon de detritus) بالفرنسية ، الذى لا نجد له فى عربيتنا الراجحة - غير المهجورة - كلمة تؤدى معناه .

ولا ضرر ان يكون لفظ المصطلح حوشيا غير متداول بل الامضل ان يكون كذلك لكيلا يلتبس معناه الاصطلاحى بمعناه العام . والمصطلحات واجبة التعلم على كل حالة ولن يفهمها غير المتخصص ولو كانت من الالفاظ المأنوسة الجارية يوميا على اللسان . وان شئت برهاننا فاذهب الى اى نجار او حداد او صائغ . . . وسله عن مصطلحاته واسماء ادواته فستجد انك لن تفهم الكثير منها ولو كنت تعرف معانيها اللغوية العامة.

والمعجب كل المعجب ممن يتهمون العربية بالقصور فى مضمار المصطلحات . لقد اتى على العربية حين من الدهر كانت فيه اغنى اللغات طرا بالمصطلحات العلمية من طب وفلك ورياضة ولاهوت وفلسفة وتصوف ولغة . . . وكانت اللغات الاوربية فى عصر نهضتها ، وعلى راسها اللاتينية ، هى التى تشكو عجزها عن مجاراة هذه العربية والترجمة عنها ، فاضطروا الى اقتباس الكثير من المصطلحات العربية كما هى وادخلوها فى لغاتهم مثل اللوغارتم والصفر والجبر والكحول والقلو وحرف (x) الذى كان ينطق شيئا باللاتينية ، مقابل الحرف (ش) العربى الذى اتخذاه العلماء العرب رمزا لكلمة (شيء) بمعنى الشيء المجهول .

فلما نام العرب وخيمت عليهم عصور الجهل والظلام تعدت لغتهم العربية تنتظر قيامهم . وما هم اليوم قد هبوا وما هى قد هبت معهم . وما من لغة عرفنا تاريخ الفكر البشرى اقدر من عربيتنا هذه على سبك المصطلحات الدقيقة الموجزة ، لا المادية فقط بل المعنوية ايضا ، من عقلانية ونفسانية ووجدانية .

بشرائية ، لها قيمتها المعصرية العملية نحن ما زلنا بحاجة اليها لكثرة ما يقع فى زماننا من حوادث الاعتقاد، السياسى وغيره .

والاخبار كثيرة فى كتب اللغة عن عادات القوم ووجوه معاشهم مما لا تجده فى كتاب الا حين تقرا شرح معانى بعض الالفاظ التى اصبحت منكرا مجهولة لدينا ، وحتى لدى العباسيين والامويين ، بل حتى لدى الراشدين الذين سبقوا فاتخذوا من دراسة الشعر الجاهلى ولا سيما الغريب من الفاظه احدى وسائل تفسير القرآن .

هذا الى ان المهجور والحوشى او الوحشى او الابد : ضرورى للدراسات اللغوية ، على الاساليب المعصرية ولا سيما تأثيلا وترسيسا .

ان المهجور لثروة اى ثروة ، لا تراثية تاريخية نخرية وحسب بل عصرية وعملية ايضا . فهى مادة خامة لسبك المصطلحات الحديثة - علاوة على ما تقدم من مناقبها .

معلوم ان الاوربيين-اعتادوا ان يستعمروا الالفاظ من الاغريقية واللاتينية ليصوغوا منها مصطلحاتهم الحديثة لكيلا يختلط المصطلح بالالفاظ الاستعمال اليومي من لغتهم ، مثل : telegraph (= tele : من بعيد + graph مكتوب) بدلا من قولهم بالانكليزية (مكتوب من بعيد : written afar) مثلا. وقد كان هذا المصطلح الاغريقى حوشيا وغريبا على الناس اول الامر ، لكنهم تعلموه ودرجوا عليه .

وفى امكاننا استعمال الالفاظ المهجورة كذلك لبعض المصطلحات بدلا من الالفاظ الادبية او الكثيرة الاستعمال . كتموذج اذكر (التوتين) استعمالنا بدل (التوتين) فى ترجمتى لمعجم (صيانة الطبيمة .) مقابل : (immobilization) التى ورد تعريفها فى المعجم : « تثبيت الحيوانات موقتا فى بقعة لفرض الانتناص او الرماية او النقل او التدجين ، الخ » * . والتوتين من « وتن بالمكان : ثبت واقام » - وهكذا يتخيمص (التوتين) بالمعنى الاصطلاحى المذكور ويبقى (التوتين) على معناه العام .

وكذلك (الخَسَل) - زنة الملل - وهو لغويا :

* « اللسان العربى » - العدد 12 - ج 1 - سنة 1975 ، ص 253 .

علميا على صحة (علم نشأة اللغة) من محاكاة الأصوات ، وانها قادرة كذلك على ترسيخ الالفاظ لنفسها ولغيرها من اللغات المتولدة منها ، حتى الأريات .

فلنضرب للقارىء مثلا . قال ابن الخابة الاعربى :
(فرررر) يحاكي صوت رفرمة أجنحة الطائر وتعبيرا عن فراره عند الاقتراب منه . ومن هذا الصوت صيغ فعل (فرّ يفرّ فرارا) . ومنه تولد فعل فرّق (كفرح) أى خاف ، وفرّق (كضرب) بين الشياطين ، فصل بينهما .. وفرّق ، وفرّق ، ثم فرث وفرخ وفرد وفرز وفرش .. الخ ،

ومثالا من ترسيخ الالفاظ الاجنبية نذكر كلمة (perka) الاغريقية التي يعدها اللغويون اثل (الفرخ) بالعربية بسبب تطابق معناها . بينما العكس هو الصحيح ، لاننا نجد في العربية علة التسمية وهى (انفراخ) البيضة أى إنشقاقها ، عن الفرخ ، شبيها بتسمية (الفروج) أيضا لنفس السبب أى (لانفراج) البيضة عنه ، أو لانه يفرجها ويخرج منها . نفس الاغريقية لا يمكن تأثيل perka لانها لا اثل لها فيها ، لكن يمكن تأثيلها وترسيخها في العربية هكذا : perka — فرخة ، فرخ — فرق — فرّ — فرررر ..

ومن فعل (فرّ) نجد في الانكليزية : fear خاف .. و flight : خوف ، فرار ، و free حرّ وأطلق ، و fly : طار ، أو ذبابة (لاتها تطير) . و flea : برغوث (لانه يفرّ) .

وما نكتفى بذكر هذا المثل البسيط ، الا اختصارا .

وهم عند ما يبحثون عن ائول الفاظ لغاتهم يرجعونها الى مشابهاة لها بلغات اوروبية اخرى قديمة أو حديثة ، لكنهم لا يقولون من اين جاءت فدخلت في تلك اللغات ، في العربية وحدها يجدون الجواب .

يلاحظ قارئنا الكريم ان هذا الترسيس ليس عرضا لتطور لفظ الكلمة في عدة مراحل فقط بل لتطور المعنى في عدة مراحل كذلك . وثمة من النماذج ما هو اطول تسلسلا واكثر تشعبا وتصاعدا في مسارح الارتقاء لا يتسع لها هذا المقام . (وقد تطرقنا في كتابنا « مفامرات لغوية » وغيره من الدراسات الى ترسيخ الكثير من الالفاظ الانكليزية وغيرها ، مثل riviera و

وبالاضافة الى هذا الكنز الذى لا يفنى من نفاثس المفردات مأنوسها ومهجورها، لدينا رصيد عظيم من قابلية للاشتقاق لا مثل لها في اللغات ، وكما لنا شاهدا تلك الذخيرة الهائلة من اوزان الصيغ العربية تربو على (1300) وزن ، يمكننا ان نصنفها ونستخدمها ونستثمرها في (تقييس المعانى مع تقييس الاشتقاق) .. وناهيك به منجما لاستخراج المصطلحات . وان رمت شاهدا على فضل العربية من اقوال الاجانب — وهى كثيرة — فاليكم منها شهادة العلامة الفرنسى ارنت رينان — وهو ليس صديقا للساميين عامة ولا محبا للاسلام ، لكن عظمة العربية فرضت عليه مع ذلك ان يقول ، في منتصف القرن التاسع عشر :
« من اغرب ما وقع في تاريخ البشر وصَّحِب حلّ سرّه انتشار اللغة العربية ، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة اول الامر واذا بها تبدا فجأة في غاية الكمال ، عظيمة السلاسة ، مفرطة الغنى ، كاملة الى حد انها لم يطرا عليها حتى اليوم اى تعديل مهم . فليس لها طفولة ولا شيخوخة ، ظهرت من اول امرها تامة مستحكمة . ولم يفض على فتح الاندلس اكثر من خمسين عاما حتى اضطر رجال الكنيسة الى ان يترجموا صلواتهم الى العربية ليفهمها النصارى !

ومن اغرب المدهشات ان تثبت تلك اللغة القومية وتصل الى درجة الكمال وسط الصحارى عند امة من الرحل ، تلك اللغة التي نامت اخواتها بوفرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها .. » .

لا نجادله في ثناءه على العربية فالذى نظنه انها مستحقة له ، لكننا نخالفه في حقيقتين علميتين : اولهما ان العربية ان كانت غير معروفة اول الامر كما قال — ويصح هذا بالنسبة الى الاوربيين — فلا يعنى ذلك انها نشأت كاملة وانها لم تكن لها طفولتها البعيدة في اعماق التاريخ . والثانية ان تلك اللغة التي تال انها في غاية الكمال لم تكن من صنع البداوة وحدها في حياتها المترحلة ، بل شاركت في الجانب الحضارى منها مناطق الحضر المستقر على مدى الاجيال . وحسبها عراقة ويقمّ ان من بناتها الساميات : البابلية والفرعونية والكنعانية ، فضلا عما تلاها من ارمية ومندائية وآشورية .

الترسيس

تلنا ان من مزايا عربيتنا انها تستطيع ان تبرهن

calcium و copper
table و sing
و Caesار و saxon
.. وردناها الى ارساسها العربية)

سقفونية الصحراء

يلاحظ فقهاء اللغة الاوربيون ان اللغات السامية كثيرا ما تعتمد الى المجاز . هذا شأن اللغات كافة في الواقع ، لكن الساميات اكثر جنوحاً الى المجاز ، حتا . ان تشابه وجوه البيداء ورتابة الحياة البدوية جعلت اولئك القوم يلتبسون التنويع والتفنن في أى شيء لا دور سينما ولا مسرحيات ولا مذياع ولا مشواف حرمان من مسرات البيئة وتسليياتها وتنوعاتها ، مع الكثير من عواطف ملتعبة وحب صحراوي محرق وحروب طاحنة لا تكاد تهدأ الا لتمود جذعة وخوف من كوارث محتلمة لا عداد لها من محل وجوع وغارات مفاجئة وغير مفاجئة من اعداء من البشر أو السباع أو الانعاسى .. أو الجن ..

تلك النفوس الجياشة اكتشفت تنويعها الذاتى في عالم (الكلمة) . يتصرفون في تشويق صيفها ويتحذقون في تفتيق معانيها متلذذين في الانصاح بها عن وجدانات النفس متلهفين الى الاصفاء اليها حين تصور لهم بالتعبير البارع الفنى عن وجدانات الغير .

ولم يكن ابتداء المترادفات الكثيرة للمعنى الواحد ولا المعانى الكثيرة للكلمة الواحدة كانيا لاشباع جوعهم الى التنويع والتفنن ولا سيما ان ذلك قد جاء عفويا وتطوريا تلقائيا . فمن شوقهم الى الخلق والتمتع بلذة الخلق والامعان في تقوية التعبير — جاء تلمظهم احيانا بالالفاظ علاوة على تلاعبهم بالمعنى عن طريق التشبيه طورا والاستعارة طورا والمجاز والكناية والتلميح والتعريض احيانا .

وكثيرا ما ينقلب التشبيه او المجاز حقيقة . ايسط مثال على ذلك كلمة (الحسام) مثلا . معناه اللغوى هو : القاطع الحاسم ، ولا بد ان اول من اختصر الطريق فلم يشأ ان يقول (السيف الحسام) ،

قد اراد الاكتفاء بكلمة (الحسام) ليترك للسامع ان يحزر ما هو الشيء المقصود . وليس الاختصار هو الغرض وانما وجدوا ان ذكر الصفة وحدها واسقاط موصوفها اوقع في النفس وابلغ في التعبير . ومن باب الاستمتاع باستعمال الصفة كناية عن الموصوف اتبعوا ذلك في تسمية الكثير من الاشياء ولا سيما الخطير منها ، من داهية واسد وحية .

في اللغات الراتية من اوربية وغيرها ايضا يعمدون الى المجاز والاستعارة . لكن من الذى يفعل ذلك منهم ؟ اهل الخيال والبلاغة .. الشعراء والادباء . وانما يدل اكثر العربية منه على ان اهلها شعراء وفنانون ، او على كثرة الشعراء المتفننين فيهم . ومن هنا قيل ان كل عربى شاعر ، ولا بد ان يصدر عنه البيتان او الثلاثة ، ولو مرة في حياته .

وشدة اهتمام العربى بما يسمع من روائع الكلم منتورا ومنظوما في ندوات القوم والتهامه اياه باذنيه وقليه وقرط لتذاذه به جعل ما يسمع يرسخ في ذهنه ، فتويت بذلك حافظته فكان يعول عليها تعويلنا على اوراتنا ودفاترنا. فلما جاء الاسلام وانتشر التعليم جيلا بعد جيل اخذت الصحف المكتوبة تقوى والذاكرة تضعف تبعا لذلك حتى اخذوا بالتدريج يعتمدون على التدوين الى ان اصبح الاعتماد كله على التدوين ، على العهد العباسى * .

ان تحويل الالفاظ المجازية (الوضعية) الى الفاظ واتعية (عينية) قد كان منجما آخر اغدق علينا نبيضا من الثروة اللغوية .

فمن هذا المنجم اغترف ابو عبد الله بن خالويه الهذانى — الذى قال عنه ابن فارس انه جمع للسيف خمسينة اسم وللحبة مئتين ، كما ذكر الثعالبي ان حمزة الاصبهاني جمع ما يزيد على اربعمئة اسم للداهية .. وكما ذكر الاصمعي انه يحفظ للحجر — كالذى قلنا آتفا — سبعين اسما .. ومثله قول ابى الملاء المعرى . انه يحفظ للكلب سبعين اسما كذلك ، نكل تلك الاسماء صفات استعملت مجازا بدل الاسماء ثم صارت اسما .

* بسبب عدم تنقيط الكتابة لم يكونوا يكتبون بقراءة الكتاب العلمى وحسبهم ، مخافة التصحيف ، بل يشترطون على العالم قراءته على مؤلفه أو على شيخ ، اى استاذ عالم عن شيخ آخر .. عن المؤلف ، لكيما ينجو القارىء من غوائل التصحيف واخطاء النسخين . لكن تلك الحافظة الجاهلية الفذة ضمنت على كل حال .

الداهية :

نستعرض بعض اسمائها لنرى طريقتهم في تسميتها هي التي طالما لوعتهم ، تجابهم في صحرائهم أنسى توجهوا وتأخذ عليهم كل سبيل .

من هذه الاسماء ما يهون امرها ، مثل : الملمة (اى الزائرة ، من قولهم المم بهم : نزل بهم واتام) ، والنازلة (تشبه الملمة اى من الزيارة والنزول) .

ومنها ما هو اشد من ذلك مثل : الربيق (بالتصغير من الربيق اى الحبل تربط به البهيمة) ، والأريق (بالتصغير ايضا ، من الارق والغم) .

ومنها ما هو اشد من هذا ايضا كالمصيبة (التي تصيب كالسهم مثلا) ، والنائبة (التي تمضمهم بنايها) ، والجائحة (المهلكة) .. والفاجمة .. والرزينة .. والفاجرة (التي تكسر فطار ظهرهم) ، وتلمظوا باسمها هذا كاتما تدليلا فنطقوه كذلك : الفيقر (كالفيلق) .

وسموها الصم (كالمصل) وهو مستعار من اسماء السيف (الذي يقطع الصميم وهو الفضروف بين الفترتين) . ولا ادل على نزعتهم في اللبس باللفاظ وتويعها امانا في الانصاح وتشديد وقعه في النفس ، نفس المتكلم والسامع ، من تمطقتهم باسمها هذا — وغيره كما سنرى — مذ نطقوه كذلك : الصماء وصمام (بالبناء على الكسر كطام) .

وبعض اسماء الداهية يراد بها التهويل وارهاب السامع بخشونة لفظها وقوة جرسه بالاضافة الى معناها — كاتما ليخيفوا انفسهم — على عكس ما تفعله السباع اذ تخيف اعداءها بالزئير والزمجرة بالاضافة الى فتك المخلب والنايب . من ذلك : العنقير والخنقير ! ويبدو ان هذه الخنقير انحدرت من الخنق طفقوا يتلامبون بنقله حتى تخنق . واما المنقير فائلها (العناق) — بالفتح — وهو احد اسماء الداهية ايضا ، ثم سموها (العنقاء) — وهى غير الطائر الوهمى المشهور — ثم (المنقر) — بالزاي المنقولة ، زنة الجنل . ولم يشف غليلهم كل ذلك الى ان جاء يوم فنطقوها المنقير ، واستراحوا .

واحيانا يمدون الى السخرية كقولهم كناية عن

الوتوع في داهية : « وتمعوا في قرنى حمار ، او في است كلب » او في غير ذلكم .

وقد يكون اسمها بعيدا عن التدليل والاستهانة والسخرية ليفصح عن حقيقة شعورهم تجاهها ، مثل : الكريهة .

ولو نحن جمعنا اسماءها في وزن وقافية لالفنا من سمفونية الصحراء ما يمكن تسميته (نشيد البول) .

فيما يلي مثال من تلكم الاسماء المرعبة ، مما ذكرنا آنفا وما لم نذكر :

حاطبة جائحة ضراء
لممة نازلة صماء
صم صمام نكبة وبلوى
ويلوة بليبة بلاء
داهية فاقرة وفتقر
مصيبة نائبة باساء
تد وتمعوا في دربيس باتمه
وفي است كلب وأريق فاجمة
وقمطير عنقير واقمة
وخنقير أم هول قارعه !

السيف :

معظم اسمائه من معنى القطع ، مثل الصارم والجراز والقرضاب والمطبق (كالمؤن : الذي يصيب طبق المعظم) والبتار ، ثم السيف (من المسائف اى القاطع ايضا ، مثل مياغة الطيف من الطائف والغيب من الغائب والغيث من الغائث والليث من اللائث) ، اى ان (السيف) ايضا صفة وليس اسما جامدا كما توهم اللغويون منذ القدم .

« قيل ان ابن خالويه زعم انه يحفظ للسيف خمسين اسما ، فتبسم أبو على الفارسي وقال : ما أحفظ له الا اسما واحدا وهو السيف ! قال ابن خالويه : فايـن المهتد والصارم وكذا وكذا ! قال ابو على : هذه صفات » .

لكن بحثنا التائلي اظهر لنا ان (السيف) ايضا من الصفات ، كالذى اشرنا اليه * .

بالاضافة الى معنى القطع وردت للسيف اسماء هي مجرد نعت موضوعي لا يهتدف مدحا ولا ذما ، مثل

* تمصيل ذلك ورد في حديثنا « دخيل أم ائيل » — اللسان العربي ، الممدد 12 — 1975 ، ج 1 — ص 18 .

الإسـد :

وما أدراك ما الأسد ، كان شيئاً مخوفاً في تلك الأيام ، لم يكن لديهم رشاشات ولا بنادق ليصيده من بعيد . هو الذي يصيدهم من قريب . وسهامهم لا تصيبه من مسافة مأمونة ، وان أصابته لم تصب منه مقتلاً الا في النادر ، لهذا لم يكن يجرؤ على مهاجمته ولا على مدافعة هجومه الا راح أو سيّاف .. وتقليل ذلك البطل .

لذلك خصّوه ببعض أسماء الداهية والسيف — علاوة على أسمائه الرهيبة — مثل الصّم (كالسر) والصمصام (كالثرثار ، وكلاهما من أسماء السيف) والصيّمة (كالهمة من أسماء الداهية والسيف) . وتلمظا باسمه أضانوا الصمصم (كالمسسم) .

طبعي اذن انهم عدوه بلاءاً اذا اعتاد قطع الطريق على المسافرين او اقتحام المضارب والخيام ليلا على المقيمين . ومن ذلك قول المتنبي في وصفه :
نزلت على الاردن منه (بليّة) . واحسبهم قد سموه في قديم زماهم (بَلَوَى) وهي كالبلية من أسماء الداهية . فليبي على ذلك ان (belua) تطلق باللاتينية على الحيوان الضخم من اسد وفيل وحوت . ولا نستغرب اطلاق اسم الاسد على أكثر من حيوان هنا فان ذلك شائع في العربية ، ونذكر من أسماء الاسد بالذات : الصيّمة : الاسد والذكر من الحيات وانثى العنقذ — كما تلتنا قبيل — واليسيد (كالعيد) : الاسد والسذنب .. والليث : الاسد وضرب من العناكب ا

من أسمائه أيضا ما هو مستوحى من لونه ، منها : الورد (من لون «الأرض» بدليل انها تسمى بالالمانية (erd) (*) ، واليفسر (كالمطر) واليفر (كالسجل) من العقر (كالتمس) أي التراب .

ومن أسمائه ما هو وصف لخلقه مثل : ابي لبّد والمليد (كالمحسن ، من لبده أي الشعر المحيط برقبته وصدره) ، ثم العقرن (كالهزير ، من عُقرته أي لبدة رقبته) ، والخطار (المتبختر) ، واللائث (من لاث شيئاً : لاکه في فمه ، لاته يلوك اللحم كما نراه يفعل في الحير *) ومن هذه صيغ الليث .

الصفيحة والمائور (في متنه اثر) والمشطب (في نصله شطوب أي خطوط) والدائر (الذي طال عهدده بالصقتل) .

وقد يكون الوصف الواعى غير موضوعي ، ليدل على انه ابلغ في التقطع ، مثل المفتر (كالظفر) الذي في حده فقرات ، ومنه ذو الفقار سيف الامام على المشهور) والمشمّل (كالنبر : السيف القصير يشتمل عليه بالثياب) .

ومن أسمائه ما ينبىء بمكان صنعه ، كالمشرف (نسبة الى مكان في مشارف الشام) واليماني والهندي او الهندواني . وليست هذه التسميات المكانية بالمحايدة هي الاخرى لان المراد بها جودة الصنع .

ومن أسمائه أيضا ما يحمل معنى التفزل والمباهاة برونقه مثل : الابيض والصقيل والإبريق (البراق) والقشيب (الحديث الجلاء) والرقراق (الكثير الماء) والعتيقة (وهي أصلا : البرقة تستطيل في عرض السحاب ، ومن ثم قالوا « سلّوا عقائق كالعقائيق » أي سلّوا سيوفنا تلمع كالبروق) .

ومن فرط حبهم له وعرفانهم بجميله وحسن بلائه في نصرتهم سموه : الخليل ! وشبيهه بذلك الرداء (من الردء — كالعبء — وهو : العيون والناصر ، أو من الرّدي — كالسمي — أي : الصّم) .

أما من باب التلمظ باسمه فقد سموه الهذّاذ والهذهاذ والهذاهذ (بالضم) .. والخفيم (كالفطن) ، والخذوم (كالرسول) والخفم (كالنبر) والمخّم (كالصق) .

ويمكن جمع بعض أسماء السيف في أبيات من قبيل :

ولى صارم ماضي الصفيحة مهّم
مخّم هذام يخّم ومخّم
يمان جراز باثر النصل قرصوب
رداء تشيب ذو الكريهة مشطوب
تضيب تضاب يقضب وخليسل
وصم وصمصام يهذ صقيل

(*) فصلنا ذلك في بحث «الروض والمروس والعراق» — كتابنا «تاريخهم من لغتهم» .
* الحير — زنة الطير — حديقة الحيوانات .

وان شئنا وضع بعض أسماء هذا البهيم البطاش في وزن ينتظمها لتأخذ مكانها في سيمفونية الصحراء عرضنا بعضها هكذا مثلا :

هو الكاسر الخَطَّار والرابض الرادي
 أبو لبد المعروف بِالصَّبَّة الصاد
 هو الاسد الرئبال سِيدٌ عَرَنَدَس
 عَقْرَنٌ وعقرين عَقْرَتَى عَقْرَنَسُ !
 وَعِقْرٌ عِقْرٌ عِقْرَسٌ وَعَقْرَمَرَه
 وعقرية العقرت ليث وقسوره
 اسامة وَرَدٌ ان تَرِيدَ حِيدِرُ
 وان صال قرضاب هزيرٌ غَضَنَرُ
 وإن نسايم رِيَّاض وإن تمام ضيفم
 مُنَاصِمٌ صَمَاصِمٌ وَصِمٌ وَصَمِيمٌ ..

ما كان العرب بطبيعة الحال يسردون أسماء الداهية والاسد والسيف على هذا المنوال ، وانما كانوا يستعملون كلا منها في عبارة تحكى موقفا متازما أو تروى خبرا مروّعا ، فيكون للكلام رهبته ووقمه المشحون بالطاقة الشعورية المؤثرة .. يختارون لكل حالة أحد هذه الاسماء الكثيرة المعبرة ، اما مجرد سردها على هذه الوتيرة فلا يؤدي الا المقدار الضئيل من الغرض الذي نريد اليه .

على ان اختلاف المعاجم وكتب اللغة في تعريف هذه الاسماء وفي استعمالها يبيّن ان الاسماء والصيغ قد كانت أكثر بكثير مما احصاه الرواة ، ما دام باب الاستعارة مفتوحا ، على مصراعيه امام الجميع . لقد كان في وسعهم وما زال في وسعنا — ان نستعمل من كل نعمتٍ إسمًا لاي شيء ، فاذا صادف استحسانا شاع وغرض نفسه على الأذواق .

ولو جمعنا كل تلك الاسماء مع أسماء الحية والجمل والحصان والغزالة وحتى الكباش والتيس .. ثم العسل والخمر والحب والبيض والخوف والغضب والحرب .. ووضعنا كلا منها في عبارة مناسبة متجزة .. لألفنا (سيمفونية الصحراء) ..

وهل الشعر الجاهلي ، بجملته ، غير ذلك ؟

وكم أسماء له من معنى الكسر . منها قيل كل شيء ، الكاسر ، ثم الغضائر (بالضم) ، من غضفت عودا : كسرته) ومنها الغضفر أيضا .. ثم العَرَنَدَس (كالسفرجل ، من عردسه : صرعه) .

وبعض الاسماء من معنى القطع مثل الهزير (من هزيرت شيئا : قطعته) والقرضاب (من قرضبته : قطعته ، وهو من أسماء السيف) ..

وأسامة (من سام على القوم : أغار عليهم نعمات فيهم) ..

ومن أسمائه المتنوعة : الصياد والصاد ، ثم الريبال (ويخالها اللغويون تخفيفا من الرئبال ، بالهمز. لكننا نرى العكس لان الكلمة مشتقة من الرّيل والرّيل أى التصيد ، ثم هزرت) .. والضيفم (العَضَّاض) ، والضرغام (الغضوب ، من ضريم — كفرح — وتضرم عليه : احتدم غضبا ، وضريم في الطعام : جدّ في اكله لا يدفع شيئا منه) ، والسيد (كالسيد ، من السيادة ، تخفيفا من السيّد — بالتشديد — كما تنطق الكلمة بالاسبائية بنفس المعنى : acid) .

ويبلغ تلذذهم بتنوع الصيغ حد الاغراق في نعمت هذا الحيوان في مثل الصمّ والصبّة والصميم (وكلها بالكسر) والصمام (بالضم) والصمصام (بالفتح) وهي مستعارة من أسماء السيف ، ثم تبلغ النشوة في التبطّق والتنويع أتمهاها في : العَمْر (كالعطر) والعَمْرَن (كالسجل) والعمرت والعمرين والعمرن (كالهزير) والعَقْرَتَى (كالعَرَضَتَى ، بسكون الضاد وفتح الباقيات) والعَمْرَنَاة (بكسرتين) والعَقْرِيّة (كالإطرية وهي من أسماء الداهية) والعَمْرَس (كالصفور) والعَمْرَنَس (كالسفرجل) والعَقْرَمَرَة .. فهذه أربع عشرة لفظة من مادة واحدة هي (العفر) فهل معنى هذا شيئا غير قوة حاسة الطرب والتلحين في القوم ؟

والكثير من أسماء الاسد ادل على الاعجاب والتقدير منها على الكراهية والذعر .

ندوة التاريخ العلمي للعرب بمعهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب

كما نوقشت موضوعات أخرى تتعلق بالفلسفة
والاقتصاد .

الدول المشاركة :

اشترك في الندوة (65) باحثا من العرب
والاجانب توافدوا من الجامعات والمعاهد ومراكز
الابحاث المهتمة بتاريخ العلوم عند العرب ، التابعة
للدول التالية :

الولايات المتحدة الامريكية — المانيا الاتحادية —
انكلترا — فرنسا — الاتحاد السوفييتي — بولونيا —
النرويج — الدانمرك — الهند — ايران — الباكستان —
السعودية — الكويت — مصر — السودان — العراق —
الاردن — لبنان — سورية .

الابحاث المقدمة :

في الفترة الواقعة بين 5 و 9 نيسان (ابريل)
تمت مناقشة الابحاث المقدمة الى الندوة خلال (11)
جلسة علمية ، نوقش فيها (67) بحثا ، منها : 36
بحثا باللغة العربية و 31 بحثا باللغات الاجنبية .
وكانت الابحاث موزعة على الموضوعات كما
يلسى :

2 بحثان في تاريخ العلوم بوجه عام .
36 بحثا في تاريخ العلوم الاساسية .

بمناسبة افتتاح معهد التراث العلمي العربي
في جامعة حلب انعدت ندوة عالمية لتاريخ العلوم عند
العرب في الفترة الواقعة بين 5 و 12 نيسان (ابريل)
1976 .

اهداف الندوة :

وكان الهدف الاساسي من انعقادها هو التعريف
بالمعبرية العربية وامكانياتها الخلاقة المبدعة ، من
اجل بعث الثقة في النفوس وحفزها الى مزيد من
الارادة والتصميم لبناء المجتمع العربي المتقدم علميا
وتقنيا (تكنولوجيا) .

وقد سلطت الاضواء على منجزات العرب في
الميادين التالية :

- 1 — تاريخ العلوم الاساسية ، ويشمل :
الرياضيات — الكيمياء — الفيزياء — الفلك —
الارضانيات (الجيولوجية) — النبات — الحيوان .
- 2 — تاريخ الطب ، ويشمل : علم الادوية —
البيطرة .
- 3 — تاريخ التقنية (التكنولوجيا) ، ويشمل :
الهندسة الآلية (الميكانيكية) — الهندسة المائية
(الهيدروليكية) — الهندسة المعمارية — الهندسة
المدنية — الهندسة الحربية — الصناعات الكيميائية .

9 أبحاث في تاريخ العلوم الهندسية والتقنية (التكنولوجيا) ، والزراعة .

18 بحثا في تاريخ العلوم الطبية .

2 بحثان في تاريخ العلوم الاجتماعية .

النشاطات الأخرى :

رائق انمقاد الندوة تنظيم عدد من المعارض تنسجم وأهداف الندوة أقيمت في قاعات معهد التراث العربى . وهذه المعارض هي :

— معرض المخطوطات العلمية العربية .

— معرض الأدوات العلمية العربية .

— معرض الفلكى العربى ابن الشاطر .

— معرض المصنوعات العربية .

— معرض لوحات فنية تمثل أشهر العلماء العرب .

— معرض منشورات معهد التراث العلمى العربى وجامعة حلب .

وقد أثارت هذه المعارض اهتماما كبيرا لدى العلماء المشاركين لانها استطاعت ان تبرز نشاطات العلماء العرب ودورهم في تطوير العلوم المختلفة .

توصيات الندوة :

اتخذ العلماء والمشاركون التوصيات الهامة التالية :

1 — أن يتبع معهد التراث العلمى العربى سياسة عقد مثل هذه الندوة العالمية الاولى ، كل ثلاث سنوات ، من أجل تنسيق وتوحيد جهود الباحثين في تاريخ العلوم عند العرب في مختلف أنحاء العالم .

2 — القيام بعقد حلقات بحث متخصصة بين حين وآخر في موضوعات معينة من تاريخ العلوم .

3 — اصدار مجلة أبحاث متخصصة بتاريخ العلوم عند العرب وتشرف على تحريرها لجنة من كبار المختصين وتنشر الأبحاث فيها باللغة العربية واللغات الأجنبية العالمية .

4 — اصدار نشرة اعلامية دورية للتعريف بنشاط المعهد وبنشاطات المعاهد الأخرى في العالم المهتمة بالتراث العلمى العربى والإسلامى وبالمنشورات التى

تصدر عن هذه المعاهد مع اعداد دليل بأسماء وعناوين كافة المشتغلين بالبحث في هذا الميدان في أنحاء العالم .

5 — اتباع المعهد لسياسة استقدام الاساتذة الباحثين المعروفين بأبحاثهم في تاريخ العلوم عند العرب كاساتذة زائرين لمدد قصيرة لالقاء المحاضرات وتوجيه الأبحاث بالمعهد .

6 — العمل على جمع وتحقيق وترجمة ونشر المحاضرات العلمية العربية وتوزيعها . واتباع أسلوب التصوير بالأونست في بعض الحالات التى يحسن فيها اتباع هذه الطريقة كالجداول والمخطوطات المصورة .

7 — يقترح اعداد كتاب من مجلد واحد أو أكثر تعده نخبة من الباحثين المتخصصين في تاريخ العلوم الرياضية والطبيعية والتكنولوجية في الحضارة العربية الإسلامية ليكون بمثابة مرجع عالمى في هذه الموضوعات وينشر باللغة العربية واللغات الأجنبية .

8 — القيام بتأليف كتاب في مجلد أو أكثر يكون مرجعا عالميا في تاريخ الطب العربى الإسلامى وما يتعلق به من علوم الحياة ، ويساهم في اعداده نخبة من الباحثين المختصين من جميع أنحاء العالم كل في فرع تخصصه . وينشر باللغة العربية واللغات الأجنبية .

9 — انشاء معاهد أو أقسام أو كراسى لتاريخ العلوم في كل جامعة عربية وتدرّس تاريخ العلوم وخاصة التراث العلمى العربى لطلاب الكليات العلمية والانسانية .

10 — الاهتمام في المرحلة الثانوية بإدخال موضوعات تاريخ العلوم عند العرب من مواد تاريخ الحضارة العربية والإسلامية باعتبار ان العلم كان من مقومات هذه الحضارة .

أهمية الندوة :

لا شك ان انعكاسات الندوة العالمية الاولى لتاريخ العلوم عند العرب ستكون على جانب كبير من الأهمية .

فلان الندوة عالمية فان ردود الفعل التى سوف تخلفها لن تقتصر على القطر العربى السورى بل ستمتد الى كافة أنحاء العالم . فالباحثون والعلماء الذين توافدوا الى القطر من مختلف بقاع الارض يحملون للندوة بحوثا أصيلة أمضوا فترات طويلة في

التعمق بدراستها سيمودون بعد انتهاء الندوة يحملون انطباعات ايجابية جدا عن القطر وعن القفزة الفكرية والانتصادية الكبيرة التي يعيشها .

ولان الندوة تبحث في تاريخ العلوم عند العرب فانها تلعب دورا هاما في عملية تحويل زمام البحث في هذا التاريخ — الذى كان يتم الى حد كبير من قبل الباحثين الغربيين — الى العرب انفسهم . فالشروط الضرورية للقيام بهذه البحوث — ومن اهمها اجادة اللغة العربية اجادة تامة — لا تتوفر في عدد كبير من الباحثين الغربيين مما يضطر اغلبهم — من اجل اجراء بحوثهم — الى مراجعة مراجع اجنبية او مترجمة قد لا تنقل الامور بشكل علمى موضوعى ، هذا اضافة الى انه ظهر جيل من العلماء الغربيين يحاول ، وبشكل متمعد ، طمس نضل العرب وتشويه دورهم في الحضارة الانسانية ، وقد بدأ هذا الاتحراف واضحا بعد قيام اسرائيل وتساعد الصراع بين الامة العربية والصهيونية العالمية . ونتيجة لكل هذا فان المناقشة الموضوعية لنظريات وافكار ومخترعات ابن الشاطر وتقى الدين بن معروف وابن خلدون وعبد اللطيف البغدادي والكندى وصالح السلم والفرابى وغيرهم من العلماء العرب ، قد ابرزت الدور الكبير الذى لعبه العلماء العرب في تطوير مختلف العلوم واثبتت ان الامة العربية امة عريقة اعطت الكثير للحضارات الاخرى .

الابحاث المقدمة للندوة

العالمية الاولى لتاريخ العلوم عند العرب

ا — الابحاث العامة :

- 1 — سيزكين ، فؤاد : جامعة فرانكفورت — ألمانيا الاتحادية « مكانة العرب في تاريخ العلوم »
- 2 — صبرة ، عبد الحميد : جامعة هارفارد — الولايات المتحدة الامريكية « دراسة تاريخ العلوم عند العرب » .

ب — تاريخ العلوم الاساسية :

- 1 — احمد ، مختار الدين : جامعة عليكرة — الهند « ابو يوسف الكندى ورسائله في الشعاعات »

*لقى البحث في الندوة ولم تسلم نسخة منه بعد .

2 — انصارى ، رضا الله : جامعة عليكرة — الهند « ابحاث ابي الريحانى البيرونى في الطبيعيات » * (بالانكليزية) .

3 — جاويش خليل : المركز القومى للبحوث العلمية — فرنسا « مؤلفات نصر الدين الطوسى عن نظرية المتوازيات (بالانكليزية) .

4 — جحا ، فريد : الجمهورية العربية السورية « الفارابى العالم » .

5 — حريز ، سيد : جامعة الخرطوم — السودان « صلة الرواية الشفهية بتاريخ العلوم (بالانكليزية) .

6 — الخالدى ، صلاح الدين : الجمهورية العربية السورية « ابن الشاطر الرياضى الفلكى » .

7 — خان ، م . م . س : جامعة كالكوئا — الهند « تقييم العلوم على ضوء مؤلف عربى اسبائى من القرن الحادى عشر » (بالانكليزية) .

8 — الدفاع ، على عبد الله : جامعة البترول والمعادن — العربية السعودية « نظرية فيثاغورث الجديدة لثابت بن قرة »

9 — الدوينى ، عطا الله : جامعة القاهرة — مصر « البيئة والاتجاهات الفكرية في البلاد العربية » .

10 — الراشد ، رشدى : جامعة باريس — فرنسا « تطور الجبر ونظرية الكسور العشرية » *

11 — الراوى ، منعم مفلح : جامعة الكويت — الكويت « الموجز في تاريخ الجيولوجيا عند العرب » .

12 — زهيرمان ، ف . ف . ف : المعهد الشرقى الالمانى في بيروت — لبنان « دستور المنجمين » (بالانجليزية) .

13 — ستقولين ، جون : جامعة البترول والمعادن — العربية السعودية « دراسة مساهمة العرب في نظرية الاعداد » (بالانكليزية) .

14 — سعيد ، محمد : مؤسسة هامدارد القومية — باكستان « جابر بن حيان » (بالانكليزية) .

15 — سعيدان ، احمد سعيد : الجامعة الاردنية — الاردن « نظرية العدد وجمع السلاسل في نصين عربيين » (بالانكليزية) .

26 - كونتشي ، بول : جامعة ميونيخ - ألمانيا الاتحادية « النقد العربي لنصوص افريقية قديمة : ابن الصلاح المجسطى » بالانكليزية .

27 - كينج ، ديفيد : معهد الابحاث الامريكى فى القاهرة - مصر « علم الفلك فى سورية خلال القرن الرابع عشر » (ملخص بالانكليزية) .

28 - ليمى ، ريتشارد : جامعة نيويورك - الولايات المتحدة الامريكىة « اصل وانتشار كتاب الثمرة لابى جعفر أحمد بن يوسف بن ابراهيم » .

« فى العالم الاسلامى من القرن العاشر وحتى القرن السابع عشر » (بالانكليزية) .

29 - مردوك ، جون : جامعة هارفارد - الولايات المتحدة الامريكىة « النقل والتشكيل مظهر من المآثر التى قدمها العرب والمسلمون » .

30 - النابلى ، نادر : جامعة دمشق - الجمهورية العربية السورية « استخراج الضلع الاول لضلع مفروض للكاشى » *

31 - ناجى ، عبد الجبار : جامعة البصرة - العراق « رؤية تراثية الى علم الحيوان عند الجاحظ » .

32 - الهاشمى ، يحيى : الجمهورية العربية السورية « يعقوب بن اسحاق الكندى فيلسوف العرب والعالم الطبيعى » .

33 - هرميلينك ، هـ : ميونيخ - ألمانيا الاتحادية « رياضيات التسلية عند العرب كمرآة لآلاف السنوات من العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب » (بالالمانية) .

34 - الهليس ، يوسف : الجامعة الاردنية - الاردن « علم الصوتيات عند العرب فى ضوء علم اللغة الحديث » .

ج - تاريخ العلوم الهندسية والتكنولوجية والزراعية :

1 - بهنسى ، عفيف : الجمهورية العربية السورية « صناعة السيوف الدمشقية » .

2 - بياسكوفسكى ، هـ . جيسى : جامعة كراكوف - بولونيا « الصلب الدمشقى أروع المنجزات فى علم التعدين » (بالانكليزية) .

16 - سنكرى ، محمد نذير : جامعة حلب - الجمهورية العربية السورية « مبادئ التراث العربى فى الهيئة النباتية الصحراوية وتقسيم النباتات الرعوية »

17 - الشطى ، أحمد شوكت : الجمهورية العربية السورية « اصل أنواع الحيوان عند منكوية 966 - 1030 م (بالفرنسية) .

« حول علم النبات عند العرب وعالمية الشفرة والمورى » .

« مساهمة فى دراسة ثلاثة علماء نبات عرب معروفين » (بالفرنسية) .

18 - شوقى ، جلال : جامعة القاهرة - مصر « دراسات البيرونى فى الطبيعيات » .

19 - صليبا ، جورج : جامعة هارفارد - الولايات المتحدة الامريكىة « التقنيات الحسابية فى الجداول الفلكية من العصر الوسيط المتأخر (بالانكليزية)

20 - طه ، محجوب عبيد : جامعة الخرطوم - السودان « ملاحظات حول رسالة ابن الهيثم من اضاء الكواكب » .

21 - عبد الرحمن ، حكمت نجيب : جامعة الموصل - العراق « الكيمياء عند العرب ورائدها الاول جابر بن حيان » .

22 - غليولين ، عبد الحق : جامعة لومبوا - الاتحاد السوفيتى « من الزيج الى المسائل المعاكسة فى الديناميك » (بالانكليزية) .

23 - الفضلى ، ابراهيم جواد ، الورد ، محمد امين : جامعة السلمانية العراق « الاصول العربية لعلم الاراضه » .

24 - كرو ، ابراهيم : الجامعة الاردنية - الاردن « الكندى وتأثيره فى المنطق الرياضى » (بالانكليزية) .

25 - كنيدي ، ا . س : الجامعة الامريكىة فى بيروت - لبنان « تفسير نظام البيرونى المتعلق بتقدير الابعاد بالطريق غير المباشر » (بالانكليزية) .

* التى هذا البحث فى الندوة ولم تسلم نسخة منه بعد .

- الولايات المتحدة الأمريكية « ابن العين الزرعى وتعريفه
للأمراض وتشخيصها » (بالانكليزية) .
- 6 - حمارنه ، نشات : جامعة دمشق -
الجمهورية العربية السورية « عملية تدح الساد في
الريف السورى المعاصر » .
- 7 - دولس ، مايكل : جامعة فلوريدا -
الولايات المتحدة الأمريكية « تكرار الطاعون في الشرق
الايوسط بعد الموت الاسود » (بالانكليزية) .
- 8 - دييوس ، آلن : جامعة شيكاغو -
الولايات المتحدة الأمريكية « التراث العربى في الكيمياء
الطبية قبل الثورة العلمية » (ملخص بالانكليزية) .
- 9 - ديجن ، رينالد : جامعة جيسن - ألمانيا
الاتحادية « كتاب الاغذية لحنين ابن اسحق »
(بالانكليزية) .
- 10 - شحادة ، عبد الكريم : جامعة حلب -
الجمهورية العربية السورية « أضواء على الطبيب
العربى والعالم الموسوعى عبد اللطيف البغدادى » .
- 11 - عرقتنجى ، روبر : الجمهورية العربية
السورية « الكى والدق والتشريط » .
- 12 - قطاية ، سلمان : جامعة حلب -
الجمهورية العربية السورية « الطبيب صالح أفندى
ابن نصر الله السلوم الطبى واهميته التاريخية » .
- 13 - الكرمى ، غادة : معهد ويلكم لتاريخ الطب
- انكلترا « الطب العربى فى القرن العاشر ، دراسة
كتاب غنى ومبنى لابى منصور » (بالانكليزية) .
- 14 - كلاجر ، نانسى : اكسفورد - انكلترا
« رسالة فى الهیضة » .
- 15 - كىالى ، طه اسحق : جامعة حلب -
الجمهورية العربية السورية « أرجوزة الشيخ الرئيس
ابن سينا فى الطب » .
- 16 - محقق ، مهدى : جامعة طهران - ايران
« كتاب الرازى عن الطين النيشابورى » .
- 17 - موسى ، جلال محمد : جامعة اسبوط -

- 3 - الحسن ، أحمد يوسف : جامعة حلب -
الجمهورية العربية السورية « تقى الدين والهندسة
الميكانيكية العربية » *
4 - حمارنه ، صالح : الجامعة الاردنية -
الاردن « زراعة تصب السكر وصناعاته عند العرب
المسلمين » .
- 5 - رزق ، عبد المنعم احمد : جامعة عين شمس
- مصر « تاريخ العلوم الهندسية والصناعات عند
تدماء المصريين والعرب » .
- 6 - زكى ، عبد الرحمن : جامعة القاهرة -
مصر « تأثيرات فن العمارة الاسلامية على الابنية
العربية » (بالانكليزية) .
- 7 - سبنسر ، وليام : جامعة فلوريدا -
الولايات المتحدة الأمريكية « المنجزات الاسلامية فى
تخطيط المدن من الوجهة التاريخية » (بالانكليزية) .
- 8 - فهد ، توفيق : جامعة ستراسبورغ -
فرنسا « الفلاحة النبطية وعلم الزراعة العربية »
(بالفرنسية) .
- 9 - هيل ، دونالد : لندن - انكلترا « التكنولوجيا
العربية فى العصر الوسيط » (بالانكليزية) .

د - تاريخ الطب :

- 1 - اسكندر ، البرت زكى : معهد ويلكوم
لتاريخ الطب - انكلترا « محاولة تحديد مناهج مدرسة
الاسكندرية الطبية » (بالانكليزية) * *
2 - اولمان ، ماتفريد : جامعة توينجن - ألمانيا
الاتحادية « الرواية العربية لاعمال روفس الاوفسيس »
3 - البابا ، محمد زهير : جامعة دمشق
الجمهورية العربية السورية « الاترياذينات او دساتير
الادوية العربية » .
- 4 - الجاسر ، طه : جامعة حلب - الجمهورية
العربية السورية « التخدير والانعاش فى تاريخ الطب
عند العرب » .
- 5 - حمارنه ، سامى : معهد سمسونيان -

* صدر هذا البحث ككتاب ضمن منشورات معهد التراث العلمى العربى .
* التى البحث ولم تسلم نسخة منه بعد .

هـ - تاريخ العلوم الاجتماعية :

- 1 - دليلة ، عارف : جامعة حلب - الجمهورية العربية السورية « مكانة الإنكار الاقتصادية لابن خلدون في الاقتصادية السياسي » .
- 2 - هول . ١٠ ن : « نظريات ابن سينا في علم النفس » * (بالانكليزية) .

مصر « الادوية المفردة ومعرفة تواها عند حنين بن اسحق وابن سينا » .

18 - النيسيمي ، ناظم : الجمهورية العربية السورية « ابداع الرسول العربي في فن الصحة والطب الوقائي » .



* ألقى البحث ولم تسلم نسخة منه بعد .